آليات الحجاج والتواصل
في ضوء النظرية التداولية

أ: رتيبة محمدة بولودالني
جامعة قسنطينة

تحاول اللسانيات النصية أن تعيد تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أخرى هي النص وتتمثل قضيتها الأساسية في البحث عن كيفيات انسجام النص مع الخطاب من أجل تحقيق العملية التواصلية بجميع عناصرها وأشكالها، يستدعي التأثير والإقناع في التخاطب الإنساني آلية بيانية فاعلة لتحقيقه، لذا نجد الحجاج ميزة من ميزات هذا التخاطب بمواقفه المتعدّدة، وأشكاله المتنوعة بينالشفوية والكتابية، إذ يعدّ ركيزة النصوص الموجهة المتضمنة للمقصدية والنقاشوالنّقد والجدل،وسنحاول تقديم مفاهيم أولية للمصطلحات المتعمدة في هذه الورقة البحثية:

مفهوم التداولية :

جاء في لسان العرب في مادة (د،و،ل) مايلي : "قال الزجاج : الدولة إسم الشيء الذي يتداول أما في معجم مقاييس اللغة في مادة (دول) وردت على أصلين:

"أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر ،و الآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة : إتدال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان . ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم : إذ صار من بعضهم إلى بعض والدولة والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب وإنما سميا بذلك من قياس الباب،

لأنه أمر يتداولونه فتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا".[1]التداول هو الإنتقال والتحول والتبادل للشيء بين الأطراف.

التداولية مصطلح عربي لم يستقر على صيغة واحدة، فقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، النفعية، الذرائعية، السياقية...

ويقابله في اللغة الفرنسية مصطلح: pragmatique، وفي اللغة الإنجليزية مصطلح pragmatics، وكلاهما يرجع تأصيله إلى اللفظ اليوناني 'pragmatikos' الذي يحيل على كل مل يتعلق بمعاني العمل:action [2].

"وابتدءا من القرن السابع عشر انتقل الإستعمال إلى الميدان العلمي فصارت: pragmatique تعني: كل بحث أو إكتشاف من شأنه أن يعرف أو يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار عملية" [3].

أما في المجال الفلسفي فيعني" وصف كل فكرة أو ظاهرة لا تتجلى إلا من خلال تطبيقاتها العملية أي نتائجها وآثارها المنعكسة على الواقع" وفي الاصطلاح اللساني يرجع استعمال مصطلح linguistique pragmatique إلى الفيلسوف الأمريكي: شارل موريس سنة: 1938، حيث يجعل من التداولية جزء من السيميائيات، وتهتم بمعالجة العلاقة بين العلامات ومستعمليها فالتداولية:"علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي والتفسيري"[4]. فالتداولية تهتم أساسا

---

[1]– ابن فارس :معجم مقاييس اللغة . تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون .كتاب الدال –دار الجيل.1991. ط2. ج2.ص 314.

[2]–ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. بيت الحكمة للنشر والتوزيع.العلمة–الجزائر.2009.ط1.ص61 .

[3]–الطاهر لوصيف: "التداولية اللسانية" .مجلة اللغة والأدب. جامعة الجزائر.جانفي2006. العدد:17. ص06.

[4]– علي آيتأوشان: المرجع السابق. ص 55.

بالتواصل بين المتخاطبين في سياقات لغوية مختلفة حيث تستفيد من المجالات المعرفية مثل: علم النفس وعلم الدلالة...

نشأة وتطور النظرية التداولية:

كان للتداولية حضورا قويا وقديما جدا في التراث العربي القديم لا يقل أهمية عنه في التراث الغربي، حيث تعود أول إشارة للتداولية إلى بداية الطلائع الدرس اللغوي مع سيبويه وصولا إلى النقاد والبلاغيين المتأخرين، فقد أشار سيبويه إلى مبدأ القصدية في "معرض حديثه عن الأفعال التي تقتضي مفعولين، يكشف أن التأليف النحوي أو ما كنا رأيناه عند الغربيين يقع تحت تسمية تداولية الدرجة الأولى أو مستوى التعبير يخضع في المقام الأول لمراد المتكلم"[1] ويمكن توضيح ذلك من خلال الأفعال المتعدية إلى مفعولين فعلى سبيل المثال الفعل(ظن) يتعدى إلى مفعولين صريحين مثل: ظننت البرد شديدا. وذلك متى كان قصد المتكلم ومراده وما استقر عليه من حال المفعول الأول فقصد المتكلم من استعمال المفعول الثاني هو بيان حال المفعول الأول. وتترسخ هذه الفكرة أيضا وتأخذ بعدا نظريا بشكل بارز ضمن النظم عند "عبد القاهر الجرجاني" في موقفه القائل بتطابق مفهومي اللفظ والمعنى وربطهما بمراد أو مقاصد لمتكلمين حيث أنه" ينظر إلى الألفاظ من جهة دلالتها على معانيها في نظام الكلم"فمراد الناس يقتصر على اثبات هذه المعاني رغم اختلاف أغراضهم" فالقصدية عنده تندرج تحت تسمية معاني النفس حيث يرى أن مواقع المعاني في النفس ومواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق ويربطها كذلك بغرض المتكلم الذي قد يوجب بالاظافة إلى الحذف، والأمر نفسه نجده عند "الجاحظ" لكن في باب البلاغة التي تمثل علما للإتصال لأنها ترتبط باستعمال اللغة وممارستها كما ترتبط بالتواصل. وفي هذا السياق "تتلاقى التداولية التي أرساها "أوستن" في كثير من المفاهيم مع

---

[1] نواري سعودي ابو زيد:في تداولية الخطاب الأدبي.ص39 .

البلاغة القديمة منذ أرسطو حتى وقتنا الحاظر لا سيما مع البلاغة العربية في دراستها للإنشاء والخبر في باب المعاني".

فنجد الجاحظ يقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام: خبر صادق وهو ما كان مطابقا للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه مطابق ،و خبر كاذب غير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم أنه غير مطابق، وأخيرا الخبر الذي ليس صادقا ولا كاذبا فهو المطابق للواقع وغير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم بانه غير مطابق أو بدون اعتقاده وهذا يعتمد على معيار التداولي هو اعتقاد المتكلم وقصده .وهنا" نرى في عمل الجاحظ شبيها بما فعله سبرلحينما جعل شرط الصراحة معيارا من معايير القوى المتضمنة في القول لإثبات هويتها" فالبلاغة عند الجاحظ تفيد معنيين: المعنى الأول الإيصال أو الإبلاغ" وبهذا المعنى تكون البلاغة مرادف لمفهوم التوصيل في اللسانيات الحديثة" الذي يعني أن المتكلم يسعى من خلال خطابه إلى إبلاغ الكلام وإيصاله إلى المخاطب أو المتلقي فالعملية الاتصالية تنطلق من المرسل إلى المرسل إليه أما المعنى الثاني فيفيد الإقناع. فبعد أن يوصل المتكلم رسالته إلى المخاطب يعمل على إقناعه وتغييره والتأثير فيه وكثيرا ما تاتي البلاغة عند" الجاحظ" مصحوبة بلفظ عقل أومنطق" تصبح البلاغة معناها الاعتماد على الطاقات العقلية والمنطقية وحدها للإقناع" ومما سبق نستنتج أن الجاحظ حصر البيان في اللفظ وربط الاقناع بالتداول انطلاقا من الوظيفة التواصلية.

أما عند الغرب فقد كانت:

التداولية: pragmatique: تشكل دراسة المعنى في الألفاظ اللغوية عند مستخدميها ومفسريها"[2] وهو بذلك ميز بين علم الدلالة والتداولية باعتبار الأولى

---

[1]- محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر 1983، د. ط، ص231.

[2]- فيليب شدان: "التداولية في الفكر النحو ساكسوني" المنشأ الفلسفي و [illegible]

المعنى وفقا للوضع فقط وبمعزل عن السياق والمقاومات التخاطبية أما الثانية المعنى في سياق الذي ورد فيه. وبين النحو والتداولية.

عن أصل التداولية وجذورها فيمكن ارجاعها الى اتجاهين مختلفين. الاتجاه الأول هو: اتجاه فلسفي منطقي تعود جذوره إلى شارل بيرس وامتد إلى موريس حيث عرض مفهوم التداولية أو البراغماتية الهادف إلى وضع "علامية كلية (سيميو طيقا) تكون نظرية منطقية عامة"[1] فقد جعل العلامة تتعدى المجال اللغوي إلى الفلسفي وبذلك اتسع مجالها، فالإنسان في حد ذاته علامة ونحن حين نفكر علامة كما ربط اللغة بالتواصل باعتباره الوظيفة الأساسية وربط دراسة المعنى بوقف الاستعمال أو ما نسميه بالسياق.

أما الاتجاه الثاني: تيار فلسفة اللغة العادية الذي أسسه الفيلسوف لود فتغنشتاين يدرس التداولية من كونها نظرية في التعامل الاجتماعي تهتم بالجانب الثاني أي: استعمال اللغة. فاللغة عنده بمثابة مفتاح سحري يفتح مغاليق المعرفة وارجع الإختلاف والتناقضات بين الفلاسفة إلى سوء فهم اللغة. ولكن فتغنشتاين لم يكتسب المكانة الحقيقية الا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أكسفورد. ولا سيما" جون أوستن في جامعة هارفارد ضمن برنامج محاضرات" وليام جيمس "lectures william James" وكذا محاضرات بول كرايس ضمن نفس البرنامج"[2].

ومما سبق نصل الى ان ظهور التداولية كنظرية فلسفية كان على يد بيرس أما كمنهج ونظرية فيعود الى الفيلسوف الانجليزي أوستن" والذي انتقل من المعنى المعجمي والنحوي والنفسي للغة إلى المستوى الاجتماعي، وذلك من خلال النظر للغة كوسيلة لتحقيق عملية التواصل.

---

[1] ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 99.

[2] ينظر: المرجع نفسه والصفحة نفسها، التداولية، ص ص266، 267.

3- دعائم ومرتكزات النظرية التداولية:وعلاقتها بالحجاج والتواصل:

التداولية درس جديد وغزير، غير أنه لا يملك حدودا واضحة، مما جعل امكانية حصر موضوعاتها أمرا صعبا بالنسبة للباحثين فاجملوها فيما يلي:

أفعال الكلام، الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، نظرية المحادثة وكل منها تمثل ركيزة اساسية للنظرية التداولية .

أفعال الكلام :و هي نظرية تنسب إلى اوستين وقد جمعت محاضراته "التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955 في كتاب سمي" كيف تفعل الأشياء بالكلمات"[1] ثم قام جون سيرل وغيره من البراغماتيين بتطوير هذه النظرية أثناء السبعينيات والثمانينيات، وتعتبر هذه النظرية من أهم النظريات التي أصبحت ذات فعالية في مجال البحث التداولي، حيث ننظر إلى اللغة "أنها أداء أعمال مختلفة في آن واحد، فعندما يتحدث المتكلم فانه يخبر عن شيء او يصرح تصريحا ما او يامر او ينهي او يدعو...".

ويرى اوستين أن اللغة لا تستعمل فقط للتواصل بل هي اداة للاقناع وتغيير السلوك والمواقف[2]، وقد قسم الملفوظات الى قسمين:" ملفوظات تقريرية وانجازية" أما الأولى constatifs) وتسمى الوصفية او الاخبارية او الاثباتية نحو: البرد شديد.

أما الثانية "performatifs": فتعني الأدائية والإنشائية، وهي بدورها تنقسم الى انجازية مباشرة يكون فعلها ظاهر مثل: الأمر والدعاء... وانجازية غير مباشرة يكون فعلها غير ظاهر نحو قوله تعالى « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور»[3] فجاء الفعل في هذه الآية غير ظاهر تقديره" احذروا". وميز في هذه الملفوظات بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية :-فعل قولي او فعل التلفظ:"acte locutoire""الذي هو عبارة عن مفصلة الأصوات اللغوية وتركيبها حيث يقع استحضار المفاهيم الماثلة نظميا

---

[1] محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب. دار الكتاب الجديد المتحدة. بن غازي– ليبيا. 2004 .ط1. ص 34.

[2] ينظر: علي آيتاوشان.السياق و النص الشعري. ص63.

[3] قرآن كريم. رواية ورش عن نافع. دار علوم القرآن .دمشق– سوريا. سورة الحديد. الآية 20. ص 540.

(syntaxiquement) بواسطة الألفاظ"[1] بمعنى انه الفعل الذي ينشا نتيجة عمل أعضاء النطق.

2- فعل متضمن في القول أو فعل الخطاب acte illocutoire: "هو الفعل الانجازي الحقيقي إذ انه عمل ينجز بقول ما" [2] ويعني الحدث الذي يقصده المتكلم بجملة كالأمر...

و يصنف "اوستين" هذا الفعل الى خمسة اقسام عامة:

"- فعل قضائي: "verdictif"لإصدار الأحكام.

- فعل مراسي:" exercitif" إثبات سلطة أو تأثير

- فعل وعدي:"pramissif" لتقرير أخبار أو وصف.

- فعل سلوكي:" comportatif" لضبط المواقف .

- فعل عرضي :"expositif" يساعد في استمرار الحوار بتفسير الغموض

3) الفعل الناتج عن القول:"acte perlocutoire" أو فعل التأثير في الخطاب حيث يقوم المتكلم باقناع السامع بفعل ما كأن يأمره بفتح الباب فيكون الفعل" ذا تأثير كاملة إذا تطابق الأثر النهائي او نتيجة النهائية مع الغرض المنشود" [3] فيقوم السامع بفتح الباب بعد اقتناعه بفعل الأمر فيتطابق فعل الفتح مع غرض المتكلم .

أما" سيرل" قد استفاد من دروس" اوستين" لأنه اعتبر دراسة اللغة فرع من نظرية الحدث كما قسم هو أيضا الأفعال الكلامية إلى أربعة أقسام: "فعل التلفظ والفعل القضوي والفعل اللاقولي والفعل التأثير بالقول" [4] ففعل التلفظ يتلفظ فيه المتكلم

---

[1] ناصر اسطنبول وآخرون:"مفاهيم سيميائية لمصطلحات بلاغية ".مجلة السيميائيات .جامعة وهران-الجزائر.خريف2006 .العدد الثاني.ص16.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب.ص42.

[3] فان دايك: النص والسياق. تر:عبد القادر قنيني. إفريقيا الشرق. المغرب-لبنان. 2000. (د.ط). ص237.

[4] محمد صلاح الدين الشريف: أهم المدارس اللسانية. منشورات المعهد القومي لعلوم التربية. نهج الباستور تونس.1930.ط2 ص109.

بكلمات وجمل ونعني به :المظهر الخالي من المعنى، أما القضوي فهو: يقابل الفعل اللفظي عند "اوستين" ،و الفعل اللاقولي :تدل عليه مجموعة من القرائن تميزه عن الفعل القضوي، أما فعل التأثير بالقول فسيرل يوافق أوستين في تعريفه له .و من أجل تحقيق الأفعال الكلامية وضع لها سيرل شروطا معتمدا على اوستين: شروط أولية تحدد وضعية المتكلم بمعنى الوضع الاجتماعي الذي يسمح له بالصياغة اللغوية كأن يكون رئيس محكمة أو ما يماثل ذلك، وشروط جدية حيث يجب على المتكلم ان يكون صادقا في كل أقواله وهذا لا يعني انه عندما لا ينجز الفعل بجدية يكون فاشلا بل يكون قد ارتكب إثما وأخيرا شروط أساسية حيث يكون الشخص الذي ينجز فعلا مرتبطا بواسطة خطابه ببعض المعتقدات والمقاصد لأن هذا جوهري وأساسي بالنسبة للملفوظ.

القيمة الحجاجية

تتنزل نظرية الحجاج ضمن نظرية أشمل سطر قواعدها كل من أوستن وسيريل في نظرية الأفعال اللغوية، فما الفعل الحجاجي إلا نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي، كما أضيف إليه مفهوم القيمة الحجاجية التي تعني نوعا من الإلزام في الطريقة التي يجب سلوكها لضمان استمرارية ونمو الخطاب حتى يحقق في النهاية غايته التأثيرية، وتشير من ناحية ثانية إلى السلطة المعنوية للفعل القولي ضمن سلسلة الأفعال المنجزة لتبليغ فكرة ما إلى المتلقي[1].

الحجاج الخاطئ

إن الحجاج الخاطئ يقدم على المقايسة الواهمة ،كما تسبب في حدوثه عيوب بنويه أثناء تأسيس المحاججة كالمصادرة على المطلوب ،أو الأخطاء الناجمة عن تعدد الأسئلة ،ففي كثير من الأحيان يصدر الخطاب عن تمويه في صورة مقدمات وهمية

[1] – أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، مجلة فكر ونقد، ص

كاذبة، إما شبيهة بالحقيقة لكنها غير ذلك ،أو شبيهة بالمشهور دون أن تكون كذلك أيضا، مثل : كل ميت يجب دفنه/الحجر ميت /النتيجة الحجر يجب دفنه [1]؛

وربما أمكننا التمثيل للمغالطة الحجاجية بقولنا: إن إسرائيل دولة نووية وقوة عسكرية فهي إذن على حق ،إذ يشمل هذا النوع من المغالطة *الحجاج بالسلطة*، ومن أنواع الحجاج الخاطئ أيضا المغالطة المنطقية ؛ وتزعم التمثيل لها بمناظرة الشاعر العباسي "أبي العتاهية " لثمامة بن الأشرس[2]، والمغالطة العلمية التي تشخص في تناقض أقوال المتكلم وأفعاله، وربما مثلنا لها في النص القرآني بقوله تعالى:﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ (البقرة/44).

وأما الحجاج المبني على التناقض الإثباتي فتبينه الآية من سورة مريم:﴿**إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾ (مريم /19) فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنها لم تنذر في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم فذكرت لهم كونها نذرت، فيكون هذا منها تناقضا فقد تكلمت من حيث نذرت عدم الكلام، بينما ذهب آخرون إلى إمساكها واكتفائها بالإيماء وبالرأس ،ومن أدوات الحجاج اعتماد التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي في النصوص الدينية والسياسية، ويمكن أن نجد لهذا النوع من الإقناع الذي ينحو منحى استسلاميا أمثلة متعددة في الخطابة العربية خطبة الحجاج لأهل العراق، وخطبة زيد بن المقنع العذري الذي سعى في ضمان ولاية العهد إلى يزيد بن معاوية، فخطب في حضرة معاوية (ض) قائلا: "هذا أمر أمير المؤمنين وأشار إلى معاوية، فإن هلك.. وأشار إلى ولده يزيد فان أبيتم فهذا... وأشار إلى سيفه [3]. هذا ويمكن الحديث على أنواع أخرى للحجج منها[4] :

1- حسان الباهي، الحجاج المغالطي، مجلة فكر ونقد، ص وانظر اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، دار الأمان، الدار البيضاء، 2000.

2- الأصفهاني، الأغاني ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، 5/6.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965، 3/508.

4- Perelman et Tyrica ,traite de l argumentation ,p 501-527

1- حجة التبرير l'argument de gaspillage، وأداتها "بما أن "

2- حجة الاتجاه direction،وغرضها التحذير من انتشار شيء ما .

3- الحجة التواجدية، تبنى على علاقة الشخص بعمله، ويمكن أن نمثل لها بقوله (ص):"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" إذ يكن أن نقول بأن المتعلم كشخص في جوهره ليس فضوليا ،وعمل ترك ما لا يعنيه من تجليات حسن الإسلام.

4- الحجة الرمزية: للرمز قوة تأثيرية في الذين يقرون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه كدلالة العلم في نسبته إلى وطن معين، والهلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام، والصليب بالنسبة إلى المسيحية ،والميزان إلى العدالة .

5- المثل: إنّ الغاية من اعتماده حجاجيا هو التأسيس للقاعدة، والبرهنة على صحتها .

6- الاستشهاد: غايته توضيح القاعدة ،وتكثيف حضور الأفكار في الذهن، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة، ولعل القرآن الكريم فيما يقدم لنا من أمثلة حجاجية أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجية

2- الافتراض المسبق présupposition :

إن دراسة الافتراض المسبق" برزت بداية الثمانينيات بشكل حاد عندما بدأت الشروحات التداولية تتأخذ بجدية كبدائل للشروحات الدلالية في دراسة المعنى" [1].

ففي كل التواصل لساني ينطلق المتخاطبون من معطيات وافتراضات معترف بها بينهم وغير صريحة عند المتحدثين تشكل خلفية تواصلية ضرورية لنجاح العملية التواصلية وهي محتواة في القول سواء تلفظنا بهذا القول إثباتا أو نفيا.

تعرف اركيوني الافتراض المسبق بقولها:" هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها فانها وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا بغض النظر عن خصوصيته"[2].

---

[1] فويدر شنان: التداولية في الفكر الأنجلو ساكسوني. ص 25.

[2]- ذهبية حمو الحاج:لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب. دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزوزو- الجزائر. 2005 .(د،ط).ص124.

والمثال التالي يوضح ما سبق ففي مقام تواصلي معين يقول الشريك (أ) في الحوار للشريك (ب): هل خرجت زوجتك من المستشفى؟ فالافتراض المسبق هنا ان زوجة الشريك (ب) مريضة وهي في المستشفى وان هناك علاقة بين الشريكين سمحت للشريك (أ) أن يطرح سؤاله فيجيبه الشريك (ب) بالملفوظ: نعم لقد شفيت وخرجت، شكرا.

وعليه فانه يمكن وصف الافتراضات المسبقة على انها افعال كلامية افتراضية actes de parole présupositionnels فهي في نفس درجة الاستفهام والأمر.

3- الاستلزام الحواري أو (المحادثي):

ترجع نشاته إلى محاضرات غرايس، والذي لاحظ" أن جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي (الأصلي)" ويتضح ذلك من خلال هذا المثال :

حوار بين أستاذتين (أ) و(ب):

الأستاذة (أ): هل الطالبة (ج) مستعدة لمتابعة دراستها الثانوية في قسم العلوم؟

الأستاذ (ب) : إن الطالبة (ج) ممتازة في مادة الأدب.

فإذا تأملنا إجابة الأستاذة (ب) نجد انها تحمل معنيين اثنين في نفس الوقت. المعنى الأول أن الطالبة (ج) من الممتازين في مادة الادب وهو ما يعرف بالمعنى الحرفي، أما الثاني : فهو مستلزم ومعناه الاستلزامي أن الطالبة المذكورة ليست مستعدة لمتابعة دراستها في القسم العلمي، وينقسم الاستلزام الحواري إلى قسمين :

أ/ **عرفي** :" قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من ألفاظ ودلالات مثل: (but) في الإنجليزية و(لكن) في العربية "[1].

فوجود(لكن) في الخطاب تفهم أن المعنى الأول عكس المعنى الثاني .

---

[1] - مسعود أحمد نخلة :آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر. دار المعرفة الجامعية .مصر. 2002م. ينظر ص :32.

ب/ الحواري : "فهو يتغير بتغير السياقات

إن "المحاورة"، تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي، جاز معه أنها تستمد من سبيل الاستدلال ما هو أوسع وأغنى من بنيات البرهان الضيقة، كأن يرتكز "المحاور"، في بناء النص على الصور الاستدلالية بمجمعة إلى مضامينها أوثق اجتماع، وكأن يطوي الكثير من المقدمات والنتائج ويفهم أمورا غير ما نطق به، وكأن يذكر دليلا صحيحا على قوله من غير أن يقصد الحجة للتدليل، وأن يسوق هذه الحجة على قضية بدهية أو مشهورة، وكل سبيل استدلالي يكون هذا وصفه، فهو سبيل احتجاجي لا برهاني، يقيد فيه المقام التراكيب في هذا السياق، يتقدم الحجاج ليكشف عن الحقيقة التالية، وهي أن اللغة بشكل عام (تلفظية كانت أو بصرية)، ليست مجرد تمثيل أو تشخيص لحالات إنسانية معينة، ولكنها خلق وبناء تفاعلي مؤطر بوظيفة تواصلية، إننا نتحدث أو نتكلم لكي نتقاسم مع مخاطبينا مجموعة أفكار وآراء وتمثلات تخص موضوعا محدد ولوصف ظاهرة الاستلزام الحواري يقترح غرايس نظريته المحادثية "التي تنص على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية" بمعنى أن أقطاب العملية الكلامية يشتركون ويتعاونون في انتاج وفهم المعنى والمسلمات الحوارية التي يعتمد عليها مبدأ التعاون هي :"مبدأ الكم والكيف والمناسبة والأسلوب"[1] وهذا يخص قدر وكمية الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية.

الأبعاد التداولية في الحجاج:

للحجاج أبعاد متنوعة، فمنها البعد الشمولي والتفاعلي ،وكذا البعد التنظيمي والاستراتيجي، والبعد التوسعي في أفعال اللغة، وغيرها ،ونشير هنا إلى :

1- البعد السياقي والتواصلي: أما السياق (context):"اشتق بصورة تؤكد دوره السابقة (con) تعني المشاركة في توضيح النص. أما(text)هي فكرة تتضمن

---

[1] محمد محمد يونس علي: مدخل إلى السنيات. ص99.

امور أخرى هي جسر بين النص والحال" [1] ويقصد هنا بالأمور الأخرى الظروف المحيطة بالمتكلمين، وهذا يتوافق مع التعريف القائل بان السياق" مجموعة المعطيات التي يشترك فيها كل من المخاطب والمتلقي الى جانب المعلومات المشركة بينهما وما يربطهما من تجارب وثقافة... فاستعمال اللغة يقتضي الخضوع لهذه الشروط" فكل من التعريفين يركز على ضرورة وجود المتكلم والمتلقي والظروف المحيطة بينهما فمن الضروري مثلا في خطاب ما أن نعرف من هو المتكلم والمستمع والزمان والمكان ونوع الرسالة" كلما توفر المتلقي على المعلومات عن هذه الكلمات تكون أمامه حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها، أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لها معنى"[2] فهذا هو المبدأ العام الذي يحدد أهمية ودور السياق في فهم خطاب معين وللسياق وظيفة مرجعية تؤدي للتواصل لأن مجموع الجمل التي يتكون منها الكلام هي جزء من الوظيفة التواصلية من حيث الإفادات المتداولة بين المتخاطبين التي يوحي بها" وذلك لأن اللغة في السياق تحيلنا على أشياء وموجودات نتكلم عنها، تقوم اللغة هنا بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة "[3]وينقسم السياق الى نوعين:

مقالي(لغوي)، حالي (مقامي) "وكلاهما يؤدي الى تماسك عناصر النص، فالتلقي يعتمد على تفاعل القارئ أو السامع بما في الكلام من آليات تشف عما فيها من ترابط، ومن علاقات تضام بين أجزائه، وهذا التفاعل يؤدي إلى ملء الفجوات التي تتخلل أجزاء النص.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق. دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع. مصر. 2000. (د، ط).ج ص 108.

[2] محمد خطابي :لسانيات النص مدخا الى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء – لمغرب. 2006 .ط2. ص297.

[3] – محمد كريم الكواز: البلاغة و النقد (المصطلح و النشأة و التحديد). الانتشار العربي للنشر و لتوزيع. بيروت –لبنان. 2006 .ط1. ص302 .

فالسياق المقالي يتعلق بلغة الخطاب والحالي يتعلق بالبيئة والظروف المحيطة. وتتم مقاربة النص بالإضافة الى رصد العناصر السياقية (المتخاطب، المتلقي، الزمان، المكان) بالاعتماد ،يشكل الهيئة الافتتاحية، السياق حال البؤرة(العنصر الفاعل الذي يقلب صورة النص او ما يسمى نقطة الانعطاف التي تغير مسار النص)، السياق حال المخرج لهيئة النص الجديدة التي يؤول إليها وكل هذه المحطات ترتبط بالزمان والمكان الوارد في النص.

وهناك تقسيمات أخرى للسياق مثل:" السياق العاطفي هو الذي يحدد طبيعة استخدام الكلمة بين دلالتها الموضوعية العامة ودلالتها العاطفية الخاصة ،

- سياق الموقف ويتحدد الموقف بالعلاقات الزمنية والمكانية التي يجرى فيها الكلام،
- سياق ثقافي ويظهر في استخدام كلمات معينة في مستوى لغوي محدد"[1] وتعددت هذه السياقات لأن الكلمة تلاحظ في سياقها كما ترد في النص المكتوب أو الحديث لذلك يركز الأسلوبيون على دور السياقات التي ترد فيها الكلمة لذا اقترحوا السياقات السابقة

السابقة للسياق خصائص منها : الديناميكية بمعنى أن الوافقغير متشابهة في الزمان وإنما تتغير بتغير . فالسياق يتغير من لحظة إلى أخرى " فكل سياق هو اتجاه مجرى الأحداث .

أما البعد التعاملي للتواصل" وهو ما يتم تبادله من أفعال كلامية شفوية كانت أو مكتوبة بين المتخاطبين"[2]، نستشف من هذا التعريف أن التواصل هو كلام شفوي أو مكتوب برسالة انسان إلى إنسان آخر وآخرين تتضمن معارف اكتسبها شخصيا وهو أيضا تبادل المعلومات التي تغطي ضمن سياق معين. فيتعلق ذلك باللغة التي تحدث ذلك وتؤديه، فالإنسان في حياته اليومية تصدر منه أقوال وتصرفات يعبر بها

---

[1] نسيم عون السنة المحاصرات في علم الدلالة دار الغوابي بيروت لبنان 2005 ط1 ص ص 160 162 .

[2] بشير ابرير التواصل مع النص من أجل قراءة فعالة محققة للوهم مجلة فضيلة بجامعة عنابة الجزائر 2001 العدد 4 ص 24 .

عن مشاعره ويتلقى مشاعر الآخرين، فيكون المرسل باثا ومستقبلا في الوقت ذاته، وحتى الحوار الداخلي باعتباره حوارا بين الإنسان ونفسه أداته اللغة التي تتميز بقدرة التجلي والخفاء

وشروط قياسة أخرى: تتعلق بالمتكلم الذي يجب أن يكون صادقا في أقواله منتقيا للألفاظ المناسبة للمقام ومراعيا لآداب التواصل[1] أما الشرط العام فيتعلق بالمجتمع ذلك ان عملية التواصل تكون داخل مجتمع وعليه يجب مراعاة القوانين والأعراف الاجتماعية حتى يتمكن الناس من اقامة علاقات طيبة تعود بالفائدة للجميع، وهذا ما يصطلح عليه بمبدأ للتصديق، ويصاغ على الشكل التالي:-الصدق في الخبر،-الصدق في العمل، - مطابقة القول للفعل[2].

البعد التنظيمي والاستراتيجي:

إن كل من المرسل والمتلقي سبب في وجود أي نص مهما كان جنسه الأدبي شعرا أم نثرا " فليس هناك خطابي أحادي الجانب موجه إلى ذاته ينمو في انسجام وطمأنينة، وإنما لا بد من وجود جانب آخر، وليكن ذات المرسل نفسها كما نجد في بعض أنواع الخطاب، والتفاعل بينهما موجود ولكن درجته هي التي تختلف من نص لآخر. فالنص يشكل مسرحا فسيحا لتفاعل أو تصادم بين المؤلف والقارئ .

- حيث ينتهج كل منهما إستراتيجية معينة "فالمؤلف ينهج إستراتيجية الانتصار، يتم بموجبها بناء القارئ النموذجي"[3] بمعنى أن المؤلف يفترض أشياء لم توجد بعد ويحققها داخل نصه، أما القارئ فيفترض صورة نمطية للشيء الذي حقق من قبل، وقد يكون هناك اختلاف بين قدرات المؤلف وقدرات الآخر أو العكس أما إذا

---

[1]- ينظر: دايانلارسن فريمان: أساليب و مبادئ في تدريس اللغة .تر:عائشة موسى سعيد .جامعة الملك سعود للنشر العلمي و المطابع .(د، ط). ص 104 .

[2]عبد السلام عشير ،عندما نتواصل نغير،أفريقيا الشرق، المغرب ،2006، د،ط، ص203

[3]- المصطفى العمراني: القراءة والتأويل بين أمبرتو ايكو وفولفغانغ ايزر. من موقع الأنترنت :http://www.alhalf.com./web/id.226.htm

كانت قدرات المؤلف أوسع ففي هذه الحالة يتطلب من القارئ استحضار الموسعة بوصفها " مجموعة مدونة من التأويلات تدرك موضوعيا.

حيث أن القارئ لا يستحضر كل المدونة بل الضرورية فقط. من أجل فهم النص فإذا كان المؤلف يفترض قارئا نموذجيا فعليه أن يقدم له دلالات متوفرة في مدونته مما يسهل في عملية التواصل والتفاعل بينهما وتحقيق الفهم، أما الباحثون في تحليل الخطاب اهتموا بالمتلقي سواء كان في مستوى المرسل أو دونه " وأدى بهم هذا الاهتمام إلى أن ينقصوا كثيرا من هيئة المرسل المتعالي الذي لا يعصي أمره، وأن يسلبوه كثيرا من سلطته، ويسندها إلى المخاطب"[1]. وما يدل على أن هذا كل الدراسات لسانية ونفسية وسياقية قد ركزت دور المتلقي في صياغة الخطاب. ويمكن التمييز بين الحجاج والإقناع:

أ-الإقناع (persuation)

يعني الإقناع العملية الكلامية التي تستهدف التأثير العقلي والعاطفي في المتلقي أو الجمهور، قصد تفاعله إيجابيا مع الفكرة أو السلعة المعروضة عليه باعتماد الحجج والبراهين الإثباتية عبر وسائط طبيعية أو صناعية، أما الاقتناع فهو فعل الأثر الناجم عن عملية الإقناع لدى المتلقي متى توافرت الظروف ،وتهيأت من لدن المرسل (المقنع) فيحدث الانسجام بين الرغبة الذاتية والإمكانات المتاحة والهدف المطلوب، ويمكن القول بأن الإقناع جهد اتصالي لساني بالدرجة الأولى مؤسس على قصد، ومخطط له سلفا وفق أهداف معينة لاستمالة المتلقي وتعديل سلوكه ومواقفه الشخصية في ظروف مقامية معينة، فتكون المتعة الشخصية غايته، وقد يتجه وجهة إقناعية عقلية بحتة تضطلع الحجج المنطقية وأساليب الاستدلال بمهمة توجيه فكر المتلقي.

---

[1]- محمد مفتاح : المرجع السابق.ص 42.

الكفاءة الإقناعية (persuative la cempetance)

لما كان الإقناع جهد لغويا مقصودا ومؤسسا على استراتيجية معينة للتأثير في رغبات الآخر وميوله فإنه لا يتحقق فعلا إنجازيا موفقا إلا إذا كان المقنع ممتلكا لكفاءة تواصلية وإقناعية متميزة يكون نتاجها كسب تأييد الآخرين لرأيه وما يعرضه عليهم، وتتميز هذه الكفاءة بالمهارات التالية :

1-مهارة التحليل والابتكار.

2-مهارة التعبير والعرض المنظم للأفكار.

3- مهارة الضبط الانفعالي.

4-مهارة فهم دوافع نقد الآخر.

نجاعة العملية الإقناعية:

حتى تحقق العملية الإقناعية نجاحها لابد من توافر جملة من القواعد الضابطة أثناء ممارسة الفعل الإقناعي ذاته ناهيك عن الصفات الشخصية المساعدة للمرسل الذي يمارس بشخصيته نوعا من التأثير السلطوي أو الإغوائي في كثير من المناسبات الإشهارية التي تستدعي صورة المرأة في وضعيات مختلفة، وربما تمكنا من إجمال هذه القيود في العناصر التالية :

1-خلو الرسالة الإقناعية من المغالطات الوصفية .

2-بناء الحجج على سلمية متدرجة، تراعي سياق التخاطب.

3-إحالة الرسالة الإقناعية على مرجع ثقافي سائد ومشترك (عدم التعارض مع القيم والعادات والمعتقدات السائدة)

4- وضوح الأهداف، وإمكان الوصول إليها .

5- الجمع بين الرأي والرأي المضاد .

6-تنويع عرض المرسلة الإقناعية مع مراعاة التباعد الزمني في عملية العرض.

ب- الحجاج(Argumentation)

يذهب شارل بريلمان(Ch.Prelman) إلى أن الحجاج سمة تصف كل الخطابات، غايتها الاستمالة والإقناع ضمن العلاقة بين الأنساق الصريحة والضمنية، وتطلق لفظة حجاج ومحاججة عند بريلمانوتيتيكاه على العلم وموضوعه، ومؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم[1]وربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار ،أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب، وسيكون الحجاج مؤطرا بالخاصية اللسانية الشكلية، وليس بالمحتوى الخبري للقول الذي يربط القول بالمقام ،ولما كان الأمر كذلك فإن تركيز التداولية ينصب على العلاقات الترابطية بين أجزاء الخطاب والأدوات اللسانية المحققة له. وتتصدر المحاججة بوصفها وظيفة لسانية قائمة الوظائف اللغوية بالرغم من عدم إشارة الدارسين الذين تناولوا موضوع وظيفة اللغة إليها مثل: بوهلر وجاكبسون ومارتنيه وبراون وييول وهاليدي وفان ديك وغيرهم...إلخ.

إن القول اللغوي ينجز في ظروف معينة قصد التأثير في المتلقي مستعملا وسائل لغوية موجهة للخطاب نحو غاية معينة، وبالتالي سيكزن من الوجيه أن يميز بين الحجاج(argumentation)، والبرهان (demonstration) فالحجاج ليس خطابا برهانيا منطقيا وعقليا بالأساس -كما يتصور البعض- يقتضي البرهنة على صدق قضية ما مثلما هو الأمر في الاستدلال المنطقي (syllogisme) وإنما هو خطاب لغوي طبيعي عادي احتمالي في نتيجته التي يتوصل إلى معناها بالتأمل في البنية اللغوية ،ووسائل الربط المقيدة للحجج والمنسقة بينها ،إن ما يفرق بينهما كونه

---

[1]-Perelman et Tytica ,traite de l argumentation ,p 05.,

وانظر تون .فان ديك، علم النص :مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص234

(الحجاج) مؤسسا على بنية قولية لغوية متسلسلة داخل نص ما لاعلى مقتضى الأقوال المنطقية التي ينشغل بها النص الفلسفي الاستدلالي.

نظرية السلالم الحجاجية[1]:

تطرح هذه النظرية تصورا لعمل المحاججة من حيث هو تلازم بين قول الحجة ونتيجتها، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمها تعكس تعددا للحجة في مقابل النتيجة الواحدة على أن هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج.

أهمية نظرية السلالم الحجاجية :

إن مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب من حيث تركيزه على مبدأ التدرج في توجيه الحجج يبين أن المحاجة اللغوية لا ترتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدد بل هي رهينة القوة والضعف الذي ينفي عنها الخضوع لمنطق الصدق والكذب ،ومما تجدر الإشارة إليه أن المتكلمين يختلفون في بناء منظومة السلالم إذ أنها متسمة بالخصوصية والذاتية، فالبعض يلخص موقف خصومه، والبعض الآخر يدمجه في برهانه ويتبناه مؤقتا ،وتخضع نظرية السلم الحجاجي عند ديكرو إلى قانوني النفي والقلب، فالأول يعني أن نفي حجة الرأي الأول هي حجة للرأي المخالف، وأما الثاني فيعني كون السلم الحجاجي للأقوال المثبتة هو عكس السلم الحجاجي للأقوال المنفية، ومن صور الإفادة من السلم الحجاجي في الخطاب الإشهاري التصريح بالعلامة أو الماركة ،فهذه الإستراتيجية الخطابية في حد ذاتها حجة تصنف في أعلى السلم الحجاجي بناء على المعرفة الخلفية المخزونة في ذهن المتلقي.

المبدأ الحجاجي :

يشير إلى المسلمات والأفكار السائدة اجتماعيا، والتي تضمن ترابط الحجج والنتائج في الخطاب مع التصديق بصحتها واقعيا فالكل يعتقد بأن العمل يؤدي إلى النجاح وهبوط درجة الحرارة يؤدي إلى نزول المطر وبالجملة مكن القول بأن المبادئ

---

[1] شكري المبخوت ،نظرية الحجاج في اللغة ،ص363-364.

الحجاجية العامة تعبر عن الضمير الجمعي في رؤية العالم، والتعارض الخطابي ناتج في الأصل عن التعارض في المبادئ الحجاجية.

النص الأدبي الحجاجي في ضوء المنهج التداولي .

والنص في قاموس : Universel Larousse:

"ينحدر من كلمة نص texte من فعل نص Texére نسج والنص تبعا لذلك يعني الثوب ويعني بعد ذلك تسلسل الأفكار وتوالي الكلمات"[1].

فالدلالة المركزية للدال النص هي : الظهور والانكشاف والوضوح.

وإذا تجاوزنا الجانب المعجمي إلى الاصطلاحي فإننا نجد أن المنظرين انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

– المجموعة الأولى وعلى رأسها بول ريكور الذي يربط مفهوم النص بالكتابة وهو متطور إيصالي " النص خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة " [2].

فالنص كل كلام مكتوب عكس الخطاب الشفوي لأن أداته اللغة المكتوبة أما الثاني فأداته اللغة المنطوقة وعليه فإن النص أداء لساني وإنجاز لغوي يقوم به فرد معين، وفي هذا السياق يعرفه روجي فولر : R.Fauler في كتابه (اللسانيات والرواية) فيقول : " إن النص يعني البنية النصية الأكثر إدراكا ومعاينة وعند اللساني هذه البنية هي متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها تشكل استمرارا وانسجاما على عل صعيد تلك المتوالية " وهذا التعريف حصر النص في بنية الشكلية الخارجية المتمثلة في الكتابة كمظهر خارجي وهذه البنية هي نسيج من الكلمات المرتبة ترتيبا تسلسليا مشكلا انسجاما وتناسقا .

– أما المجموعة الثانية فقد عرفت النص من خلال ارتباطه مع الإنتاج الأدبي ويمثله رولان بارت الذي وجد عند جوليا كريستيفا تعريفا جامعا مانعا فالنص:

---

[1]– le petit Larousse imprime en Belgique ,juillet 2001.p1005.

[2]– بشير إبرير : التواصل مع النص .ص 208.

جهاز لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، يكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها."[1] فالنص نتيجة هذا هو عملية إنتاجية تشمل علاقته باللغة عن طريق التفكيك وإعادة البناء كما أنه نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بشكل ثابت وهو مرتبط تاريخيا بالقانون والدين والأدب والعلم .

– أما المجموعة الأخيرة وعلى رأسها تودوروف فقد عرف النص تعريفا مباشرا خلال ربطه بمكوناته فيرى أن :" النص: نظام تضميني نستطيع التميز بين مكوناته عبر ثلاثة أوجه : ملفوظي، نحوي، دلالي وهو يوازي النظام اللغوي ويتداخل معه "[2] فالجانب الملفوظي عند تودوروف يقابل الجانب الفعلي وهو المستوى الذي انطلقت منه الشعرية، أما الدلالي فنعني به العلاقة بين العلامات والأشياء أو مسمياتها وأما النحوي أو التركيبي فيعنى بالعلاقات القائمة بين التعابير اللغوية بعضها ببعض : فمعنى النص يكون من خلال اللغة . وملخص القول أن النص الأدبي هو كل كلام مثبت أو يمكن تثبيته، فهو نسيج من الكلمات المرتبة ترتيبا يهيئ معنا وبما أنه يتبنى من خلال مجموعة من العلامات فله " وجوده المادي، وله ميادينه، التي يملك كل منها توجهه نحو الواقع فيكسر انعكاس حقيقته أو يحرفها بطريقته الخاصة"[3].

2– علاقة التداولية بالنص الأدبي الحجاجي:

النص رسالة يواجهها الكاتب باعتباره مرسلا إلى القارئ، وهو المتلقي وعليه فإن للنص وظيفته التداولية " فمعرفة أحوال اللفظ العربي التي به يطابق مقتضى الحال،

1– صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لنجمان. الجيزا – مصر. 1996 .ط1.ص 295.

2– مرحان بدري الحربي : الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب. المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع .بيروت –لبنان. 2003 . ط1. ص 38.

3– يمنى العيد : في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي . منشورات دار الآفاق الجديدة..بيروت – لبنان .1983 . ط 1 .ص 57 .

وهي التي تحقق الوظيفة التداولية، وذلك لأن هذه الوظيفة لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود مرسل وهو المتكلم ومرسل إليه وهو المخاطب ورسالة وهي الكلام أو اللفظ الوارد في النص. "النص الحجاجي خطاب موجه، يعتمد فيه المحاج على معرفته السابقة لمعتقدات وأفكار وإيديولوجية مخاطبة من جهة، وعلى الأقل على حد أدنى أو درجة معينة من معرفة طبيعة الحجاج وتقنياته من جهة أخرى"[1].

وبالاعتماد على أسلوب المقارنة والتحليل والاستشهاد وهذا بالاستخدام أدوات الربط المتصلة معنويا بالاستنتاج. "فمن أحد مهام التداولية هو أن تتيح صياغة شروط نجاح انجاز عبارة " من أجل تحقيق عملية فهم عند الآخر، فحسن توظيف هذه العبارات يساعد على إيصال الفكرة وحصول الفهم والتواصل بين الكاتب والقارئ وهذه العناصر من أهم مرتكزات كل من النص والتداولية، فالتواصل والحجاج لا يتحققان إلا من خلال أفعال الكلام الانجازية وسياقاتها ." فالتواصل اللغوي يقف على ما توفره اللغة من قواعد وقوانين صرفية، على أن الحجاج مثلما أنه ليس موضوعيا محضا فإنه ليس ذاتيا محضا؛ ذلك أن من مقوماته حرية الاختيار على أساس عقلي، وعلى صعيد آخر يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية ،وعلاقة الترابط بين الأقوال والتي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية[2]

- النص الأدبي الحجاجي في نظرية أفعال الكلام:(النص كفعل كلامي):

إن دارس الأدب عندما يتناول نصا فإنه لا يعالجه من حيث البناء فحسب أي من حيث البنية الشكلية والمضمونية، بل يأخذ بعين الاعتبار الوظيفية التي تؤديها مجموع الملفوظات التي تشكل نصا في سياق معين بفضل الشكل والمضمون وعليه

---

[1]-يحي بعيطيش : المرجع السابق .ص475 .

[2] شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، ضمن أعمال مخبرالبلاغة والحجاج، جامعة منوبة، تونس، ص352

فإن مفهوم النص الأدبي في ضوء المنهج التداولي يتجلى " في تأويل النص كفعل كلامي، أو كسلسلة أفعال كلامية، فالوعود، التهديدات، التأكيدات، الأسئلة، الأوامر.. هي أمثلة على الأفعال الكلامية "

فقارئ النص الأدبي عندما ينطق جملة أو عدة جمل في سياق معين يكون قد قام بفعل كلامي أو أفعال كلامية وحتى حينما يتلفظ بنص مأخوذ بكليته فإنه قام بفعل كلامي إجمالي "Marco acte de langage" وفي هذا السياق يعرف جولد نشاين (G.oldens) النص بقوله : "هو ما يحقق لسلسلة من العناصر اللغوية وجودا فعاليا ماديا " فالنص هو منتوج مادي لمقام تلفظ ما، وهو بهذا يحقق التواصل وبالتالي هو فعل كلامي، ومن هذا الزاوية يمكن إدراجه ضمن نظام العلامات الكبرى التي هي نظام الأفعال التي تتم بين البشر لغوية كانت أو غير لغوية ،كما تعرف لاند كيست النص على أنه فعل كلامي حيث " تعتبر النص .... فعلا كلاميا يحتوى مثل أي فعل تلفظي الأفعال الأساسية الثلاثة

- فعل الإحالة
- فعل الإسناد
- فعل الانجاز"

و هذه الخصائص ترتبط عند سيرل بالجملة الذي رأى أن المتكلم حينما ينطق جملة يكون قد قام فعليا بثلاثة أنواع من الأفعال :

الفعل الأول هو التلفظ بالكلمة، والثاني فعل الإحالة والإسناد إلى معنى خاص أما الثالث فعل الانجاز الذي قد يكون : سؤال، تأكيد، وعد...

إن هذا المخطط يوضع لنا وضعية النص كفعل كلامي فهو نسيج من الجمل وكل جملة تحتوي على ثلاثة أفعال كلامية : إنجازيه، أدائية بمعنى أن لكل منشئ نص مقاصد يهدف إلى إبلاغها للمتلقي فيختار هذه الأفعال لأنها ملائمة لتحقيق قصده. وأفعال إحالة بمعنى أن النص يتكلم عن شيء معين فيوظف هذه الأفعال

للإحالة عليه، وأفعال إسنادية حيث أن النص موضوع معين ينسب إليه تبينه هذه الأفعال، ويتم الحجاج بطرق هي:

طرق الحجاج :

"والمقصود هنا مجموع ما يطوعه المتكلم، بغية خدمة وجهة نظره عن طريق حمل المتلقي على التسليم بصحة موفقة أولا الاذعان لمراده، والتبني لما يطرحه من وجهات نظر ثانيا"[1] مستخدما في ذلك ثلاثة وسائل إقناعية وهي :

أ- " **التأكيدات الأداتية:** ونعني بها تأكيد المتكلم لكلامه بواسطة أداة أو أكثر، بهدف التأثير في السامع وإقناعه "وقد تجلت ظاهرة الحجاج خاصة في نص" رسول المطر" لعبد العزيز غرمول من خلال ورود الأدوات التالية :

1) **قد**: المكررة مرتين في النص في الفقرة الثانية والفقرة الخامسة.

2) **ولقد**: ذكرت مرة واحدة في الفقرة الأولى.

3) **إن**: المتكررة مرتين في الفقرة الثانية والخامسة

4) **كان**: ولقد تكررت أكثر من مرة وهي تحمل دلالة الزمنية وقد كان استخدام هذه الأدوات من أجل إقناع القارئ أو المتلقي بشخصية الأب الفاعلة وشخصية فاطمة المفعول بهاو شخصية الشيخ محمد بن أبو القاسم المساعدة حيث يقول المؤلف : "إن فاطمة ذهبت لأبعد من ذلك... كان شيخا محمد بن أبي القاسم مقتدى الأولياء صاحب الكرامات"[2].

ب- "التأكيدات الأسلوبية:

وتنحصر في طريقة واحدة وهي : طريقة القصر بالنفي والاستثناء" كما ورد في النص السابق من خلال قول الكاتب: "وصنعوا عالمهم الشخصي الذي لا يأخذ من عالمنا هذا سوى ما يتقوت به".

1- نور ي سعودي ابو زيد : في تداولية الخطاب الأدبي .ص 96.

2- الشريف مريبعي و آخرون. اللغة العربية و آدابها .ص 178- 179.

فمن خلال استعماله لهذا الأسلوب النفي والإنشاء فهو يؤكد على أن والده كان من أولئك الرجال الذين صنعوا عالمهم الشخصي بأنفسهم وينفي عن هذا العالم أخذه من عالمنا إلا ما يفيده مستخدما أداة النفي : (لا) وأداة الاستثناء (سوى).

ج" –المقابلة :

وهي طريقة من طرق الإقناع العقلي وهي مقابلة بين المضامين الإخبارية سواء كانت مستقلة أو مضمنة تركيبا وهي ثلاثة أنواع: المقابلة بين الإثبات والنفي، والمقابلة بين النفي والإثبات المؤكد، والمقابلة بين السبب والنتيجة المنطقية".

ومثال الأول ما ورد في النص السابق لمحمود درويش –حالة حصار – في قوله:

'كل ما جاءني الأمس، قلت له:

ليس موعدنا اليوم، فلنبتعد.

و تعالى غدا !"

فهو يثبت مجيء الأمس وفي نفس الوقت ينفي موعده معه في ذلك اليوم.

أما مثال الثاني ما ورد في نص " الصدمة الحضارية ...متى نتخطاها ؟ لخالد زيادة في قوله: "و أثر ذلك ليس على الصراع بين الغرب والعالم وإنما على التجاذبات والصراعات داخل كل حضارة" فهو ينفي بسبب الصدمة الحضارية التي سببها الغرب الأوروبي للعالم بالصراع بين الغرب والعالم ويؤكد على أن السبب في ذلك هو الصراعات داخل كل حضارة.

أما مثال الثالث فقد ورد في نص "لالة فاطمة نسومر المرأة الصقر" لإدريس قرقوة في قوله: "قالت أمينة: لن أسكت وأختكم مرغت رؤوسكم في الوحل". فسبب رفض أمينة السكوت على زوجها "سي الطاهر" اعتقادها بأن مشاركة أخته فاطمة في الثورة عار جلبته للأسرة مما أدى بسي الطاهر إلى ضرب زوجته وهذا ورد في النص من خلال هذا الحوار:

"سي الطاهر : كفي يا امرأة لسانك السليط

أمينة: أو تضربني يا سي الطاهر وقد كنت سيدة قومي.

تفاعل المتلقي مع النص الحجاجي:

إن النص عبارة عن رسالة أو خطاب يريد أن يوصل فكرة مهمة للمتلقي، فلابد للقارئ أن يدرك هذه الفكرة الهامة التي يقوم عليها النص، بمعنى أن النص يدور حول فكرة معينة بهدف توصيلها إلى القارئ فعلى القارئ أن يتتبع هذه الفكرة لأنها مثل الشجرة لها جذور داخل النص، و"أن يستضيف النص ويعقد معه صلات حميمة ليتعاونا معا على إنجاز مهمة الفهم والتأويل"[1] لأن النص له خصائص تساعد القارئ على التأويل والفهم فلابد على القارئ أن يتفاعل معها.

وكانت البداية الحقيقية للاهتمام بهذا العنصر المتلقي على يد آيزر وياوس، وهما من رواد جمالية التلقي، وبإدراج هذا العنصر المهم في إطار تداولية النصوص إن لم نقل جمالية التلقي أصبح هناك تفاعل بينه وبين النص وهذا ما يعرف ب " التقاء النص بالقارئ، وهو ما يصفه ايكو بالتشارك النصي Coopération textuelle "[2] أي لحظة التفاعل بين النص والقارىء حيث أن للقارئ القدرة على منح النص سمة التوافق والتلاؤم لأن هذا التوافق ينتج عن فهم القارئ بقصد تحقيق الاستجابة والتفاعل النصي.

وتجدر الإشارة أن البحث في مجال الحجاج والتواصل يقتضي العديد من الآليات والطرائق في ضوء النظرية التداولية ،تتجاوز هذه الورقة العلمية، لتشعب الحجاج بتشعب الخطابات، وباختلاف النصوص وأنماطها، وكذا اتساع الحدود التأويلية الدلالية، مما يسهم في ثراء هذا الجانب المعرفي .

---

[1] – محمد مفتاح: دينامية النص. ص42.

[2] – المصطفى النعمراني : القراءة و التأويل .ص5.